دور الزوايا في الحفاظ على الهوية الجماعية للمجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية.

د/حورية على شريف ط/د مرزقلال موسى
جامعة محمد بوضياف -المسيلة

الملخص:

لكل امة تاريخ وحضارة وثقافة تميزها وتتفرد بها عن بقية الأمم الأخرى، وهذا التمايز أساس بقائها واستمرارها ومصدر اعتزازها وفخرها، وهو ما يطلق عليه بالهوية الجماعية أو الوطنية، فهي بذلك تشكل وحدة من الخصائص والسمات المتكاملة والمتجانسة من خلالها يشعر الفرد بالولاء والانتماء نحو المجتمع، وضرورة الاعتقاد والتمسك بها والدفاع عنها، فهي جزء من شخصيته وعنوان لكيانه، والمجتمع الجزائري عبر التاريخ تعرض لتكالب قوى استعمارية استهدفت بالدرجة الأولى مقومات وجوده وطمس ثوابته خاصة الاحتلال الفرنسي الذي اشتغل طوال القرن ونصف القرن على تدمير كل ماله علاقة بالانتماء الثقافي والمد التاريخي، ونشر الفتن والنعرات الجهوية والعصبية العرقية والمذهبية، والقضاء على مؤسسات التنشئة خاصة الدينية منها، التي تعمل على المحافظة على الهوية، لما لها من قوة تأثير روحية ونفسية على سلوكيات وتوجهات الأفراد، ولقد كان للمؤسسة الدينية ومنها الزوايا على وجه الخصوص الدور الأعظم في الحفاظ على ذاكرة وتاريخ المجتمع الجزائري، والبعد الحضاري أثناء الحقبة الاستعمارية ودعم ثورة التحرير ماديا ومعنويا، من خلال جمع التبرعات والمساعدات، وكانت بالإضافة إلى دورها التقليدي في التثقيف والتعليم، ملاذا أمنا للثوار ومراكز لاجتماع القيادات واتخاذ القرار وتجنيد الطلاب، والدعوة إلى الجهاد في سبيل الحق ونصرة الدين ودحر الكفر، ومازالت الحصن المنيع لهوية المجتمع أمام قوة وتأثير العولمة.

ونحن من خلال هذه الورقة البحثية، نحاول إبراز دور هذه الزوايا في الحفاظ على ثوابت المجتمع الجزائري ومقوماته إبان الفترة الاستعمارية.

- **الكلمات المفتاحية**: الهوية-المؤسسة الدينية– الزوايا-الرباط- ازدواجية القيم.

Résumé:

Chaque nation a une histoire, une civilisation et une culture qui la distingue et se distingue des autres nations. Cela fait partie de sa personnalité et du titre de son être, et la société algérienne à travers l'histoire a été exposée à l'appel des forces coloniales visant principalement les éléments de son existence et obscurcissant ses constantes, en particulier l'occupation française, qui a fonctionné pendant un siècle et demi pour détruire tout son argent. Ola Marée culturelle et historique, dissémination des conflits régionaux et ethniques et des conflits sectaires, et suppression des institutions d'éducation, en particulier religieuses, qui œuvrent pour la préservation de l'identité en raison de son influence spirituelle et psychologique sur le comportement et les attitudes des individus, ainsi que de l'institution religieuse, y compris les coins. Préserver la mémoire et l'histoire de la société algérienne et la dimension civilisation elle de l'ère coloniale et soutenir financièrement et moralement la révolution de la libération par la collecte de dons et l'aide, outre son rôle traditionnel dans l'éducation, l'éducation était un refuge pour les révolutionnaires et les centres de réunion. leadership P et la prise de décision et le recrutement des étudiants, et l'appel au jihad pour l'amour de la vérité et la victoire de la religion et de vaincre les infidèles, et encore Rempart de l'identité de la communauté en face de la puissance et de l'impact de la mondialisation

-Mots-clés: identité, institution religieuse, zawiya, rabat, culture, dualité

مقدمة:

إن الدارس لتاريخ الجزائري لا يمكن له أن يغفل عن المكانة التي تحتلها المؤسسات الدينية في البناء الاجتماعي فهي تكتسي صفة القداسة والاحترام والانصياع لها، لما لها من تأثير قوي على جلب واستقطاب الأفراد وتجعلهم أكثر ارتباطا وتمسكا، وان هذا البعد الروحي هو أساس الاستقرار النفسي والوجداني. ولقد لعبت المؤسسة الدينية ومنها الزوايا على وجه الخصوص دورا رائدا في المقاومة الثقافية للمستعمر والوقوف في وجه الحملات والدعوات التبشيرية، التي حاولت إحداث القطيعة مع مقومات الهوية الاجتماعية والتاريخية للشعب الجزائري.

فلقد ملئت الزوايا الفراغ السياسي نتيجة انهيار مؤسسات الحكم العثماني وأخذت على عاتقها مهمة الدفاع والمقاومة ودعت إلى الجهاد ضد الكفر وقادت معظم الثورات الشعبية ومولتها ماديا ومعنويا وقياديا, فالأمير عبد القادر هو من أتباع الطريقة القادرية وكان القائد الروحي والسياسي للانتفاضة الشعبية والشيخ الحداد هو من أتباع شيوخ الطريقة الرحمانية وغيرهم من قيادات الثورات الشعبية فكلهم يمزجون بين البعد الديني والوطني ومتشبعين بالثقافة الصوفية والأخلاق والمثل الإسلامية السامية، ورغم الاختلاف والتنوع الكبير في الزوايا إلا أنها كانت في مقدمة الرافضين للتدخل الأجنبي وتعتبره مصدر لهدم القيم الاجتماعية والإسلامية التي تميز المجتمع الجزائري.

ورغم التحول الذي شهدته الزوايا وانخراطها في المجال السياسي مما جعل البعض يشك في مرجعيتها ودورها إلا انه لا يمكن تحيدها وإقصائها من المشهد الثوري والتحرير ، من خلال مشاركتها في الثورة التحريرية ويتجلى ذلك في الثقافة الدينية والوطنية التي يتشبع بها مفجرو الثورة رغم طول المدة الاستعمارية وما صحبها من غسل العقول وفرنسة للسان وتشويه للتاريخ .نحاول فيما يأتي مناقشتها بناءا على الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: ما دور الزوايا في الحفاظ على الهوية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية؟

1- مقاربة مفاهمية:

1-1- **تعريف الهوية** : إن ما يميز كل مجتمع عن غيره هو تلك المقومات التي يقوم عنها كالمسالة اللغوية والدينية والتاريخ والموقع المتواجد عليه والمصير المشترك وهذه المقومات هي أساس وجوده وتماسكه ووحدته ونضاله، فاللغة هي أساس التواصل بين الأفراد رغم الاختلاف في اللهجات والدين هو الرابط الروحي بين الأفراد والمؤسسات والمنظم للعلاقات، والتاريخ هو الامتداد الزمني والحضاري والعرقي للإفراد والموقع هو الرقعة الجغرافية التي تحدد تواجده وضرورة الدفاع، عنها والمصير المشترك هو ما ينتظره من تحديات تعرقل مسيرته وتقف دون تحقيق أهدافه. إن وعي الأفراد بهذه المحددات والاعتزاز بها والدفاع عنها هو الضمان الحقيقي لبقائها وقدرتها على مواجهة الحملات الاستئصالية والتغريبية، وكل ما يهدد كيانها، والمجتمع الجزائري كبقية المجتمعات له مقومات وجوده رغم ما تعرض له من استدمار وتعنيف ثقافي عمل على مسح هويته التاريخية والدينية عن طريق محاربة عوامل وحدته والتضييق على وظائف مؤسساته الاجتماعية والدينية وإحداث القطيعة مع كل ما يميز ثقافته وتقاليده وربطها بالتخلف والهمجية وتشجيع المؤسسات التبشيرية على الاستغلال ظروفهم الاجتماعية والصحية المزرية وحملهم على التنصير.

1-2- تعريف المؤسسة الدينية: هي بناء اجتماعي أنشاه المجتمع لتلبية حاجاته وهي نتيجة الفراغ الروحي الذي يعيش فيه الفرد ولكل مجتمع مؤسساته الدينية حسب ما يعتقد به الأفراد.

1-3- تعريف الزوايا: هي مؤسسة دينية وعلمية واجتماعية فهي تجمع بين جملة من الأنشطة كالتعليم والتربية والإيواء والإطعام ومكان أمنا للمحتاجين والفقراء والزاهدين وعابري السبيل

1-4- تعريف الرباط :وهي تسمية ظهرت قبل الزوايا ولكن وجودها يكون محاذيا لحدود العدو وهي تعمل على رصد تحركاته والتصدي لها، وهي ومكان للإقامة وتعلم أصول الدين والفقه أي أن للأربطة وظيفتين هما الدفاع عن الأراضي الإسلامية والتعليم.

2-**البنية التشكيلية للزوايا**:

بالإضافة للهيكل التقليدي لبناء الزاوية ومن مرافق نجد هناك تركيبة بشرية تميز الزوايا وهذه التركيبة هي:

2-1-شيخ الزاوية: في الكثير من الأحيان يكون من أحفاد مؤسس الزوايا دون مراعاة الجنس، وان تعذر ذلك يكون من أتباعه المخلصين وتكون لديه قدرة على التأثير والوعظ كما انه يتميز بمظهر وسيم ولباس تقليدي من برنوس وعباءة وعمامة من النوع الجيد ليكون المظهر جالبا للاحترام والتقدير وزوايا المشايخ هي زاويا ذات ملكية خاصة بالشيخ ويتصرف بها كما يشاء, يعيش فيها هو وعائلته ونظامها شبه ملكي وراثي.[1]

2-2- مقدم الزاوية: وهو الذي يشرف على شؤون الزوايا وينفذ قرارات شيخها كجمع الزيارة ومتابعة أوضاع أملاك الزاوية.

2-3-معلم الزاوية: يعملون في القرى والدواوير يقومون بمهمة التدريس ويحملون مهمة القضاء للبحث في الأمور البسيطة ويتولون التعليم مقابل شروط مادية بسيطة[2] ، في بداية الأمر كان شيخ الزوايا هو المعلم والمدرس والواعظ ثم تولى الأمر معلمون متطوعون ولهم زاد لا يستهان به من العلم والفقه ومرجعيتهم الدينية تتوافق مع الطريقة الصوفية التي تتبعها الزاوية ويبق شيخ الزاوية هو القائد الروحي لهم.

2-4-طلاب الزاوية: وهم موريدين من كافة شرائح المجتمع يتلقون التعليم الديني بداية من حفظ كتاب الله وتكراره والأحاديث النبوية ودروس في الفقه والمذهب المالكي وتعلم الأذكار وترديدها والزاوية توفر لهم الإقامة ولباسهم تقليدي يعكس الانتماء العربي والإسلامي، أما الوسائل المستعملة في الكتابة والقراءة هي الألواح الخشبية ومادة الصمغ المصنوعة من تفحم الصوف والأقلام من أجلاف القصب ومادة الصيصال كممحاة، هذه المواد البسيطة كانت شاهدا على عمل الزوايا في تعليم كتاب الله وحفظه وتكراره من طرف المريدين المقيمين بالزوايا.

3-**الزوايا والهوية**:

تعتبر الزوايا مكان مفضل للمحافظة على الهوية والزوايا مؤسسة شاملة فهي مسجد للعبادة ومدرسة للتعليم وملجئ للهاربين ومأوى للغرباء،[3] فكل ما يقدم من دروس باللغة العربية التي هي لغة القرآن العظيم بكل ما تحمله من أحكام صرف ونحو وصيغ مبالغة تؤكد جدارتها وقوتها في التعبير وطلاقة اللسان، ورغم السياسة الاستعمارية الهادفة إلى فرنسة اللسان الجزائري على امتداد أكثر من قرن إلا أن اللغة العربية بقت صامدة وشامخة صمود الشعب الجزائري، ونفس الشيء ينطبق على تمسك أبناء المجتمع بالدين الإسلامي، رغم إغراءات التبشير والدعوة إلى التنصير، إلا أن قوة تمكن هذا الدين في قلوب أفراد الشعب لا يمكن مهما كان الأمر أن يغير في العقيدة من شيء، وكان للزوايا الدور الأعظم في ترسيخ الشخصية العربية والبربرية المصبوغة والمتمازجة مع الدين الإسلامي وقد يلاحظ ذلك من خلال الحياة الاجتماعية داخل الزوايا من الأكل والشرب

واللباس وقيم الاحترام وممارسة مختلف العبادات والمداومة عليها، ويمكن القول أن الزوايا تعبر بحق عن ذاكرة الشعب الجزائري وتاريخه المتجذر ومدى تميزه عن غيره من الشعوب.

4-المجتمع الجزائري والزوايا:

تعتبر الجزائر إحدى البلدان العربية التي تعرف انتشارا واسعا للزوايا والمدارس الدينية الصوفية نتيجة العلاقة الوطيدة بين أفراد المجتمع والمؤسسات الدينية وهي علاقة تاريخية وروحية تأخذ قداستها من وظيفتها وتأثيرها القوي على نفسية الأفراد وتوجيه السلوك وضبط الاتجاه فهي تمثل مرجعا للهوية والانتماء والدليل على ذلك انتشارا الزوايا على كامل التراب الوطني وبإعداد كبيرة وأصبحت بذلك دعوة إلى التفاخر والاعتزاز بها وما يلاحظ على أفراد المجتمع الجزائري التسابق نحوى تقديم يد المساعدة للزوايا خاصة في الاحتفالات الدينية ولقد عرف المجتمع الجزائري تنوع كبير في الطرق الصوفية والزوايا كالزاوية السنوسية والزاوية القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني والزاوية الرحمانية نسبة إلى محمد بن عبد الرحمان الأزهري والزاوية الشاذلية، وهذا التنوع كان دليل قوة الثقافة الدينية السائدة في تلك الفترة خاصة مع سقوط الأندلس وهجرة الكثير من العلماء والفقهاء نحو المغرب العربي وإنشاء محاضر لنشر العلم والفقه وأصبح لكل منهم إتباعه وومريديه, ومن أهم مميزات الجزائر في العهد العثماني انتشار الطرق الصوفية وكثرت زواياها المخصصة لهذه الطرق والمذاهب الصوفية في المدن والأرياف والجبال والصحاري وفي هذه الفترة ذكر سعد الله قائمة طويلة للزوايا منها الزاوية الثعالبية والزاوية الجيلالية، وزاوية محمد الشريف وغيرها من الزوايا في الجزائر العاصمة.[4]

5-وظائف الزوايا:

تعتبر الزوايا مؤسسات اجتماعية التي تقدم خدمات متنوعة تعكس المكانة الاجتماعية التي تحتلها في البناء الاجتماعي الكلي باعتبارها مصدر قوة ومعيار حقيقي لتماسك الأفراد حول قيمهم ومرجعيتهم العقائدية فهي بذلك توفر الأمن والاستقرار وتلبي حاجات الأفراد ومتطلباتهم من خلال الوظائف التالية

5-1-الوظيفة الروحية: تعتبر الزوايا مكان للعبادة والتدين والزهد في الدنيا والاستقرار النفسي، وهي تعمل على إثارة المشاعر والأحاسيس من خلال قدرتها على التأثير وترسيخ الإيمان والاعتقاد بالله واليوم الآخر، وان مسؤولية الإنسان خلافة الخالق في الأرض والتمسك بالقيم الإسلامية السمحاء، وان الدنيا هي زينة الحياة ودار فانية والكل يحاسب عن عمله، وان دار الخلود هي الآخرة، ولن ينال الجنة إلا من عمل عملا صالحا ودعا إلى عبادة الله الواحد الأحد.

5-2-الوظيفة الاجتماعية :تعمل على فك النزعات والخلافات بين الأفراد والأسر فهي مكانا مقدس للصلح بين المتخاصمين وتستقر فيه النفوس ويشعر الفرد انه إمام الحكم الإلهي وانه مراقب على افعله وإعماله وان الحق مفتاح النجاح وهذا الإحساس يولد التسامح والاعتراف بالذنب وان الحق حق والباطل باطل، بالإضافة أنها مكان لعقد القيران بين الأفراد، كما أنها مكانا أمنا ومفضل للمحتاجين والفقراء واللذين تقطعت بهم السبل فهي توفر لهم الإطعام والمبيت، ولقد كان لها دور كبير في تأسيس الإخاء والوحدة بين القبائل الجزائرية كما وردعن الشيخ عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام" أن بعثت التقاليد الإسلامية في الكثير من الجماعات البربرية التي ضلت حتى ذلك الوقت بعيدة عن التأثر بالثقافة الإسلامية، كما عملت على التقريب بين السكان إن لم تكن

قد جعلت منهم وحدة متكاملة.[5] 5-3-الوظيفة التربوية والتعليمية: تعتبر الزوايا مؤسسات تربوية وتعليمية بامتياز فهي تهذب النفس على الطاعة وتقيد الشهوات والغرائز عن طريق الصبر والتقوى من جهة كما تقوم بعملية محو الأمية عن طريق حفظ القران وكتابته بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة وتقدم دروس في النحو والبلاغة فهي مشتله للائمة والواعظين والمعلمين لكتاب الله.

5-4-الوظيفة السياسية: الكلام عن الوظيفة السياسية يكون وفق الزمان والمكان فشيخ الزاوية يتمنع بحكمة وعلم وتجربة تجعل منه مرجع في اتخاذ القرار وتنفيذه والأخذ برأيه وهذا انطلاقا من المكانة التي تحتلها الزاوية في المجتمع فهي سلطة روحية وسياسية يلجا إليها الأفراد عند الشدائد والمصائب للبحث عن الحلول

5-5-الوظيفة الاقتصادية: جمع التبرعات والصدقات والزكاة من المحسنين وإعادة توزيعها على الفقراء والمحتاجين كما تستغل أملاك الوقف والحبوس في تغطية نفقاتها.

6-الزوايا والحفاظ القيم الاجتماعية:

يقول الدكتور توفيق المداني عن دور الزوايا في الحفاظ على ذاكرة المجتمع" أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد ولولها لم نجد اثر اللغة العربية ولا لعلوم الدين" وإذا نظرنا إلى المدة الطويلة للاحتلال ومختلف ممارسته القمعية والتنصيرية وسياسة الاندماج الثقافي، إلا أن ذلك لم يجدي نفعا أمام صمود وشموخ شخصية هذا الشعب الأبي المتأصل بوطنه ولغته ودينه وما تمثله هذه الثوابت من قيم وخصائص تميزه عن ثقافة غيره، وهذا التميز هو نتجه حتمية للبعد الحضاري والتاريخي والتمسك الطوعي بالعقيدة الإسلامية وما تحمله من صفات السمو والرقي الإنسانية.وهذا عكس ما يعتقده الجنرال بيجو أن حقيقة الاحتلال تعتبر أرض الجزائر أرض خضبه لزرع المسيحية.[6]

6-1-الزوايا والقيم المحلية: المقصود بالقيم المحلية هي تلك التي تميز كل مجتمع عن غيره في نظرتها أو تعاملها مع الكون والبشر والحياة والعلاقة بين الأفراد والمؤسسات رغم أنها لاشعورية إلا أنها تظهر في المعاملات والسلوكيات ونتائجها فالفرد الغربي مثلا يمجد المصلحة الخاصة ويسعى من اجلها ولو بطرق غير شرعية فالغاية تبرر الوسيلة عكس الفرد المسلم، فالوسيلة والغاية شرعيتان ولا تمس بشرف وكرامة غيره ونفس الشيء ينطبق على مفاهيم الحق والواجب الحلال والحرام وبذلك إن منظومة القيم التي تميز الغرب هي منظومة فاقدة للبعد الروحي ولا تحترم الذات الإنسانية عكس القيم الإسلامية المتشبعة بالروح البشرية وفطرتها والعدالة الإلهية والأخلاق الفاضلة التي تصون العرض والمال، والزوايا تغرس في نفوس مورديها الأصالة وحب التشبث بالانتماء إلى الدين والوطن والدفاع عنهما ولن يتأتى ذلك إلا عن طريق تعلم تعاليم الإسلام ومبادئه السمحاء.

6-2-الزوايا والقيم الدخيلة: لقد تصدى شيوخ الزوايا إلى الهجمة الثقافية التي صاحبت الاحتلال وأعلنت حربا ثقافية عليها خاصة في المناطق الريفية التي تمثل معقلا لها وعملت على دحر الحملات التبشيرية وذلك عن طريق زيادة درجة الوعي لدى أفراد المجتمع الجزائري بان الجهاد يبدأ من تمسكنا ووحدتنا والمحافظة على مقوماتنا، فأعلنت الزوايا مقاطعتها للمدارس الفرنسية ولو أنها عربية التعليم، لكن مضامينها وأهدافها تمجد الحضارة الفرنسية وتطيح بالتاريخ الجزائري وتربطه بهمجية البربر والعرب وسيطرة الدين الخرافي على العقل والدعوة إلى العلمانية، وان الفرد الجزائري متخلف عن الحضارة وهو بحاجة إلى تأهيل وهي بذلك تنتج عقول

هجينة فاقدة للهوية، إنها ثقافة الاستئصال وغسل العقول، ولقد استجابت الأسر الجزائرية لنداء شيوخ الزوايا ورفضت إدخال أبنائها إلى تلك المدارس وفضلت إلحاقهم بمختلف الثورات الشعبية للدفاع عن هوية الوطن والمواطن والموت في سبيل الله عوض حياة الذل والمهانة.

7- موقف الزوايا من الاحتلال الفرنسي:

لقد تبنت الزوايا موقفا رافضا ومقاوما للاستعمار وأعلنت الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين على الكفر ويمكن اعتبار ما قاله" ايفوان توران "يدل على الصراع التاريخي بين الزوايا والسياسة الاستعمارية، قامت فرنسا بإغراء بعض شيوخ الزوايا بالمنصب والمال من أجل استمالة الشعب الجزائري نحوها لكنها لم تستطيع فعل ذلك وتعميمه على الجميع ,فأغرت بعض زوايا الطريقة العلاوية وخدعتهم بأنها تحافظ على وجودهم بين مختلف الزوايا وفي هذا النطاق استخدمت فرنسا بعض الزوايا في تحقيق أهدافها كالزاوية التيجانية والسنوسية والطيبية والقادرية بالجنوب.[7]

وإقحام شيوخ الطريقة التيجانية حيث أغرت محمد كبير احد مشايخ التيجانية الذي نعت أعداء فرنسا من المسلمين أنهم ناكري الجميل وأرذال وقال أن فرنسا حملت لنا كل الأمن والثروة والسعادة[8], ولقد كان دور الزاوية التيجانية بتاماسين كانت تعلم دروس اللغة والآداب والتوحيد والفقه، وتوجد بها العديد من الصحف والمجلات مثل جريدة الحرب العظمى 1914 وتصدر من لبنان وهي من خلال الحرب العالمية الأولى في عهد سيدي البشير[9] 1912/1918كما كان دور الزاوية الشاذلية يتمثل في العيسوية والكرزازية حيث قامت بحماية القصور والتجار وضحايا الاعتداءات الفرنسية وكانت ملجأ لأولاد الشيخ وسندا لهم في مقاومة الاحتلال.[10]

لقد كان اهتمام الزوايا وشغلهم الشاغل تعليم الديني وشرح القرآن وما يتصل به من علوم التشريع والأخلاق والعقائد والحديث وحماية المجتمع من الانسلاخ والذوبان في الثقافة الفرنسية(عبد العزيز الشهبي، 2007ن ص44) وإمام هذا التحدي الذي رفعته الزوايا حاولت فرنسا إنشاء مدارس عربية فرنسية ثم المكاتب الإسلامية ثم مدارس عربية بحتة ولم يلتحق الجزائريون إطلاقا بأي من هذه المدارس، بل لقد هدمت في أوقات الانتفاضات الشعبية لأنها مدارس النصارى" إن هذا الاعتراف هو حجة قاطعة على التأثير القوي للدين الإسلامي على ثقافة وهوية الفرد الجزائري الرافضة لكل الإغراءات الفرنسية للان مصدرها الكفر وهنا يظهر التمسك والارتباط القوي بين أفراد المجتمع الجزائري وقيمه الدينية والتي تشربها من الزوايا.

7-1-الزوايا والثورات الشعبية: نلتمس ذلك من خلال قيادات الثورات الشعبية وانتماءاتهم الدينية فكلهم أبناء وشيوخ زوايا ابتداء من ثورة الأمير عبدا لقادر وهو من إتباع الطريقة القادرية، وثورة الشيخ الحداد ولالا فاطمة نسومر وهما من أتباع الطريقة الرحمانية.

7-2-الزوايا والحركة الإصلاحية: نتجه الظروف الجديدة والمتمثلة في الموقف السلبي لبعض الزاوية من الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى وعودة بعض المهاجرين من المشرق العربي بأفكارهم التجديدية والإصلاحية وبداية انتشار أفكار الوضعية خاصة من طرف الجزائريين خريجي المدرسة الفرنسية والسياسة الفرنسية التي دعمت الفكر الخرافي والتدجيني وربطه بالزوايا من اجل إضعافها والتقليل من شانها، ظهرت دعوات إصلاحية لشيوخ الزوايا من اجل مسايرة العصر فقد دعا محمد السعيد بن زكري في كتابه" إصلاح الزوايا

في بلاد القبائل[11] " مع بداية القرن العشرين وحاول احمد بن مصطفى بن عليوة شيخ الطريقة العليوية تحديث طريقته التي أنشاها عام1921بعد استقلاله عن الطريقة الشاذلية، مما أصبح يسمى" الطرقي الحديث أو المعصرن" وهذه الدعوات تتأسف عن الأوضاع الدينية المتردية ووجوب إنشاء تنظيم جديد يتكفل بهذه المهمة، ورغم مشاركة بعض شيوخ الزوايا للإصلاحيين الجدد في أفكارهم إلا انه سرعان ما وقع صدام فكري عنيف بينها خاصة بعدما روج لمحاولة اغتيال بن باديس من طرف أتباع بن عليوة سنة1926 ،[12] مما أدى إلى الانفصال بينهما وأسسوا البعض من شيوخ الزوايا والطرق الصوفية جمعية موازية لجمعية العلماء المسلمين تحت اسم "جمعية علماء السنة" سنة1932 برئاسة المولود بن الصديق الحافظي ثم تغيرت تحت اسم" جمعية الزوايا والطرق الصوفية" سنة 1937 ثم أخذت اسم" جامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية" سنة 1939 وارتقى الصراع بين أصحاب العقيدة المذهبية السنية والعقيدة المذهبية الوهابية في الصحف والجرائد وتبادل الاتهامات والشتائم،

إن هذا الصراع هو نتيجة إذكاء نار الفتنة من طرف الساسة الفرنسيين اللذين درسوا جيدا تأثير الفكر الديني والمذهبي وخاصة بعدما عانته فرنسا من الثورات الشعبية والتي كان مصدرها شيوخ الزوايا، فعملت على دعم وإغراء بعض الطرقيين بالمال والمكانة الاجتماعية على حساب البعض منهم اللذين يشتركون مع الإصلاحيين في إحياء الثقافة والهوية الجزائرية والانتماء العربي الإسلامي وهناك بعض الإخوان خريجي الزاوية الرحمانية في منطقة القبائل نادوا بالهوية البربرية الإسلامية فكلهم اجمعوا على أن للجزائر هوية وبطاقة تعريف خاصة بها وان ثقافة هذا المجتمع تختلف نهائيا عن ثقافة المجتمع الأوروبي المتسلط والناهب للحقوق.

8-الزوايا وثورة التحرير:

رغم ما قيل عن العلاقة بين شيوخ الزوايا والإدارة الاستعمارية إلا انه لا يمكن التقليل من الدعم الذي قدمته للثورة الجزائرية خاصة من حيث الدعوة إلى الجهاد ونصرة الحق.

8-1-الدعم المادي: ويتجلى ذلك من خلال جمع المال وتسليح الطلبة وتوفير الإطعام ومكان للإيواء والاجتماعات، فالثورة كانت بحاجة ماسة إلى اقتناء السلاح وهذا يتطلب جمع المال وكانت الزوايا السباقة في استلام المساعدات من طرف الجزائريين، ثم تسليمها لقادة الثورة التحريرية وكان في الكثير من الأحيان ما يلجا إليها الثوار أثناء تعبهم ومرضهم فهي توفر لهم الراحة والمبيت والأكل والشرب والإسعاف.

8-2-الدعم المعنوي: من خلال تقوية الإيمان وحب الوطن والدعوة للاستشهاد ويتم ذلك من خلال دروس الوعظ والإرشاد التي تقوي الإيمان والتضحية بالنفس والنفيس من اجل الحرية وان من مات دفاعا عن النفس والدين والوطن فهو شهيد وان الفردوس مقامهم.

الخاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أن للزوايا قيمة تاريخية لا يمكن نكرانها رغم الاختلافات الكثيرة في عظمة دورها وعلاقتها بالإدارة الفرنسية، فالآراء تختلف اختلاف المواقف والاتجاهات ويجب أن تكون الموضوعية الفيصل في إصدار الأحكام والإجابة عن السؤال كيف حافظ المجتمع الجزائري عن لغته ووطنيته وانتمائه رغم الممارسات الاستعمارية الطويلة في تهجينه واستئصال مقوماته؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل هو مفتاح الحكم على الدور الذي لعبته المؤسسات الدينية في الكفاح من اجل الثوابت والمحافظة على الهوية الجماعية للمجتمع الجزائري،

عن طريق التعليم ونشـره ومحاربة الأمية، وهذا ما يرفع من درجة الوعي لدى الأفراد ويقوي تماسـكهم وتعاونهم وإحســاســهم بقضــيتهم والدفاع عنها، والثورة التحريرية المباركة هي نتيجة هذا الوعي المتنامي والذي تولد عنه امتعاض شديد من المستعمر الفرنسي والقيام بانتفاضة عنوانها الحرية أو الاستشهاد.

الهوامش

[1] طيب جب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف ع14، جامعة البويرة، أكتوبر 2013 ، ص10.

[2] أحمد بن داود، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم1954-1920 ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران .2016 ، ص21.

[3] محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، الطباعة الشعبية للجيش، االجزائر 2007 ، ص40.

[4] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السابع، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 272.

[5] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، لبنان، ط2، .2002، ص 20.

[6] جباري المسعود، الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجيستير في العلوم الإنسانية وأصول الدين، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002.ن ص 102.

[7] حدة بولافة واقع المجتمع المدني الجزائري ابانة الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر 2011 ، باتنة، ص ص 43-44.

[8] عبد الله بن لوجين السهلي الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثاره، دار الكنوز اشبيليا للنشر، السعودية، الرياض، 2005، ص 167.

[9] فيلالي المحتار، دور الطريقة التجانية الانتصاف في رد الافتراء على السادة التجانية (د.د.ن) الجزائر 2008، ص 12.

[10]عبد العزيز الاشهبي. الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2007، ص 221.

[11] أبو قاسم سعد الله خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1962- 1830 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص-163 164

[12] احمد حماني صراع بين السنة والبدعة، الجزء الأول، دار البعث، قسنطينة 1984، ص 61.